الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الثامنة والعشرون

سجع الكهان:

**السجع:** هو توافق العبارات أو الجمل في نهايات الفواصل أو هو الكلام المقفى غير الموزون الذي ارتبط في الجاهلية بشريحة الكهان.

والكهان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، وسلطان كبير لدى القبائل، شأنهم، شأن الحكام في المنافرات.

وكانوا يشغلون الوظائف الدينية في أماكن العبادات ويزعمون الاطلاع على الغيب، وان لكل منهم رئيا – أي صاحبا من الجن – يعرف الكاهن عن طريقة ما سيكون من أمور ولتحقيق هذه الغاية كانوا يعمدون إلى السجع في لغة غامضة مؤلفة من الفاظ غريبة ومعان معقدة وعبارات صعبة مهمة؛ لأيهام السامعين أنهم يتلقون ذلك من مصدر مجهول يرتبط بالغيب، وكان الناس يتوافدون على هؤلاء الكهان من مختلف الجهات فيحكمونهم من منازعاتهم، ويستشيرونهم في أمورهم الخاصة وما ينوونه من أعمال، أو ما يرونه في منامهم من أحلام.

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكاما في المنافرات أيضاً، ومنهم: سطيح الذئبي، وشق الأنماري، وعوف الأسدي، ومن النساء الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمينية، وزبراء، وعفيراء.

خصائص أسجاع الكهان:

أما من خصائص أسجاع الكهان فأنها – في جملتها – كلام عام، لا يرشد السامع إلى حقائق جلية، وإنما يضعه في الغموض والإبهام، باصطناع السجع، والإيماء، وقصر الجمل لإلهاء السمع عن تتبع ما يلقى اليه من الأخبار الغريبة، وجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد، بكل سهولة ويسر، ويكون المخاطب، بتلك الإشارات الغامضة، والألفاظ المبهمة، والأقسام المؤكدة، والأسجاع المنمقة، مستعدا لقبول كل ما يقال له، بلا جدال أو اعتراض، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه.

كما يلاحظ في نصوص الكهان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يطمأن اليها كلها، فربما شاب بعضها الوضع والنحل، وربما كان بعضها محفوظا صحيحا، لقصره وإيجازه، أما سبب دخولها في النثر الفني فهو قيامها على السجع في عباراتها.

دخل الرمز في كثير من أقوالهم؛ إذ يومئون إلى ما يريدون إيماء، وقلما صرحوا أو وضحوا؛ بل دائما يأتون المعاني من بعيد؛ بل قل إنهم كانوا لا يحبون أن يصوروا في وضوح معنى، ويتخذوا له أشباحا واضحة من اللفظ تدل عليه لأن ذلك يتعارض مع تنبئهم الذي يقوم على الإبهام والوهم واختيار الألفاظ التي تخدع السامع وجوها من الخدع، ومن ثم كان من اهم ما يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة وان يكثر فيها الاختلاف والتأويل.

وليس كل ما يلاحظ على السجع الذي يضاف إليهم؛ فانه يلاحظ عليه أيضا كثرة الأقسام والإيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير وفي ذلك ما يدل على اعتقادهم من هذه الأشياء وان بها قوى وأرواحا خفية، ومن اجل ذلك يحلفون بها، ليؤكدوا كلامهم وليبلغوا ما يريدون من التأثير في نفوس هؤلاء الوثنيين.

هذا السجع الدين كان يقابله كما قدمنا؛ سجع آخر في خطابتهم بل في كلامهم وأمثالهم التي دارت بينهم ولعل في ذلك كله ما يدل على أن الجاهليين عنوا بشعرهم، فقد ذهبوا يحاولون تحقيق قيم صوتية وتصويرية مختلفة فيه تكفل له جمال الصياغة وروعة الأداء.

ومن أمثلتها:

قالت الكاهنة عفيراء في تفسير رؤيا مرئد كلال (رأيت أعاصير زوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دخان ساطع، يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيها أنت سامع، دعاء ذي الأجراس صادع، هلموا إلى المشارع، هلموا إلى المشارع، روى جارع، وغرق كارع)

- قال الملك: اجل هذه رؤياي. فما تأويلها يا عفيراء؟

- قالت: الأعاصير زوابع، ملوك نابع، والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع ولي له تابع، والكارع عدو له منازع.

- وقالت احدى الكاهنات تحذر قومها من غارة قادمة عليهم.

واللوح الخافق والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدوا خَتلاً، ويحرق أنياباً عُصلاً، واِن صخر الطَّوْد ليُنذر ثُكلاً، لا تجدون عنه مَعلىَّ.